مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-0502
المجلد8 / العـدد 04 (2021)، ص 162 – 178.

نظرية التفاعلية الرمزية ونظرية الحتمية القيمية حدود الانتقاء و نقاط الالتقاء .

Symbolic interactive theory and value determinism limits of selection and points of convergence.

أ- فاطمة الزهراء كشرود د. العربي بوعمامة
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم-- الجزائر-

تاريخ الاستلام 2020/11/26 تاريخ القبول: 11 /2021/01 تاريخ النشر: 2021/02/10

ملخص:

نسعى من خلال الورقة البحثية رصد اهم نقاط الالتقاء، وحدود الانتقاء عبر اسهامات نظرية التفاعلية الرمزية لبناء معايير الحتمية القيمية باعتبار ها من المقاربات المهمة في علم الاجتماع، والتي تطرح في نسقها الاجتماعي والفكري ما جاءت به نظرية الحتمية القيمية من حيث المعاني، والرموز المتفق عليها في اطار البناء الاجتماعي، وذلك راجع لتأثر الباحث عبد الرحمن عزي بالتراث السوسيولوجي، حيث سجلت هذه الاسهامات اضافة للنظرية من حيث قابليتها للتطبيق و مراعاتها للسياق العربي.

الكلمـات المفتاحيـة : الحتمية القيمية ، التفاعل الاجتماعي ، التفاعل الرمـزي .

Abstract:

The research paper sought to identify the most important points of convergence, the boundaries of selection through the theoretical contributions of symbolic interactivity to building the criteria of value inevitability as an important approach to sociology, which in its social and intellectual context presents the meaning and symbols of value-bearing determinism as agreed upon in the framework of social construction. This is due to the influence of researcher Abdul Rahman Azi with the sociological heritage, where these contributions were recorded in addition to the theory in terms of its applicability and its consideration of the Arab context.

Key Word : Value determinism, social action, and gray act

1- بناء و اشكلة موضوع الورقة البحثية :

اعتمدت نظرية الحتمية القيمية في تأصيلها لمفهومها و فرضياتها على التراث الحضاري العربي و المتمثل في دراسات المفكر الجزائري مالك بن نبي و النورسي، والورتيلاني وابن خلدون وتبنت نظرته الاستشرافية للتاريخ والتراث ولأنها النظرية الإعلامية العربية الوحيدة تقريبا فقد عنيت بالسياق الاجتماعي والاقتصادي والثقافي العربي، و رغم تبنيها لهذا التراث منهجيا إلا أنها لم تغفل التراث النظري الغربي الذي اعتمدت عليه من خلال العديد من الطروحات المتمثلة في الإرث السوسيولوجي على وجه العموم و بعض النظريات على وجه التحديد منها النظريات " الظاهراتية ، الاثنوميثودولوجي، والبنائية الوظيفية و التفاعلية الرمزية"، حيث تعتبر هذه الأخيرة إحدى أهم المداخل والبراديغمات- النماذج الإرشادية كما اصطلح عليها في علوم الإعلام و الاتصال - والنظريات السوسيولوجية الكلاسيكية في علم الاجتماع، وأحد أهم مصادر استقاء بناءات نظرية الحتمية القيمية وهو موضوع هذه الورقة البحثية التي تتبين مدى مساهمة التراث النظري للتفاعلية الرمزية في التأسيس لنظرية الحتمية القيمية من خلال التساؤل التالي:

ما هي حدود الالتقاء بين نظرية التفاعلية الرمزية ومفاهيم الحتمية القيمية ؟

1- **ضبط المفاهيم** : تعتبر الحتمية القيمية من النظريات العربية القليلة التي تم من خلالها قراءة وتحليل معطيات الواقع الاعلامي، والاجتماعي في السياق العربي، و يرجع ذلك الى مكانة القيم في بناء العلاقات الاجتماعية، والتفاعل الاجتماعي الممارس من خلالها اذ يعتبر هذا الاخير تجسيدا للقيمة عن طريق المعاني و الرموز التي تمثلها نظرية التفاعلية الرمزية و لمحاولة ابراز نقاط التقاء النظريتين كان لزاما تقديم مجموعة من المفاهيم المرتبطة بالدراسة.

1-2- **تعريف الحتمية** Determinism: عندما نتطرق إلى مفهوم الحتمية يتبادر إلى أذهاننا ارتباطها بالحتمية التكنولوجية" لمارشال ماكلوهان "اما "عبد الرحمن عزي" فيقصد بالحتمية اعتبار متغير واحد المحرك الأساس في تفسير أو فهم أي ظاهرة ، والمتغير الرئيس في هذه النظرية " القيمة" ، أما الظاهرة فتخص الإعلام و

الاتصال، و يعني ذلك أن أي ظاهرة إعلامية تفسر أو تفهم من حيث قربها أو بعدها من القيمة ، و تعتبر هذه النظرية أن المتغيرات الأخرى مثل الفعل الاجتماعي و الاقتصادي و التاريخي متغيرات "مكملة " أي تابعة ، و هذا النهج يميز الحتمية القيمية عن الحتميات الأخرى مثل الحتمية التقنية الإعلامية التي تعتبر أن الوسيلة هي الرسالة (ماكلوهان)[1]

2-3- **تعريف القيمـة** Valeur : تعرضت القيمة لعديد التعريفات اختلفت باختلاف المدارس الفكرية الغربية منها أو حتى العربية "فالبنسبة لفيبر هي أسلوب في الحياة لدى الفرد أو الجماعة ، لها طابع مثالي ، تعطي للموجودات و طرائق الحياة صفة المرغوب فيه والمستحسن ، وهي بذلك جزء تجريدي يدعو الأفراد للانخراط فيه واحترامه وجزء مادي مجسد يظهر في الأشياء وطرائق الحياة التي تعبر عنها"[2].و هو التعريف الذي استقى منه الباحث عبد الرحمن عزي تعريفه للقيمة حيث نتجت بناء على عدة دراسات ساهم فيها باحثون غربيون و"يقصد بالقيمة

الارتقاء، أي ما يسمو فوق المعنى، والقيمة معنوية وقد يسعى الإنسان إلى تجسيدها عمليا ، كلما ارتفع بفعله و عقله إلى منزلة أعلى، و تعني القيمة في اللغة اسم النوع من الفعل قام يقوم قياما، بمعنى قام و استوي، و في منظورنا فان القيمة ما يعلو عن الشيء ويرتبط بالمعاني الكامنة في الدين، مصداقا لقوله تعالى (ذلك الدين القيم) يوسف الآية 40 و قوله (فيها كتب قيمة) البينة الآية 03).[3]

2-4- **تعريف التفاعل الاجتماعي:** "هو تلك العمليات الادراكية الوجدانية والنزوعية المتبادلة بين طرفين اجتماعيين(فردين او اكثر، جماعتين صغيرتين، او فرد و جماعة صغيرة و كبيرة) في موقف او وسط اجتماعي معين، بحيث يكون سلوك اي منهما منبها او مثيرا لسلوك الطرف الاخر عبر وسيط(لغة، اعمال، اشياء) و فيه بتم تبادل رسائل معينة ترتبط بغاية أو هدف معين.[4]

ويتمثل التفاعل الاجتماعي داخل الجماعة في ردود الفعل الايجابية التي تظهر من خلال التكافل و التماسك و التعاون مع اعضاء المجموعة، و في ردود

الفعل السلبية من خلال الاختلاف و رفض اراء الافراد، والانسحاب من المواقف و التفاعلات الايجابية. او الخصومة و الصراع مع الاخرين.[5]

وهي كذلك العملية التي بمقتضاها تتيح الجماعة للأفراد الذين يتصل بعضهم بالبعض الآخر أن يؤثر كل منهم على الآخرين، و يتأثر بهم في الأفكار والأنشطة على السواء.[6]

و "يمكن تعريفه بأنه العملية الاجتماعية الأساسية التي تعبر عن ذلك في الاتصال وفي العلاقات المتبادلة بين فردين أو أكثر، حيث يعتبر التفاعل الاجتماعي بين الأشخاص سلوكا اجتماعيا لأن الناس يتبادلون المعاني ويمارسون التأثير المتبادل على سلوك بعضهم البعض وتوقعاتهم وفكرهم من خلال اللغة والرموز والإشارات "[7].

وعلى اعتبار التفاعل الاجتماعي عملية ديناميكية بين الافراد و الجماعات فهي تشكل محور الحياة اليومية الاجتماعية في المجتمعات البشرية ونظراً لطبيعة هذا المفهوم السوسيولوجي وأهميته المحورية في فهم طبيعة المجتمع البشري فقد احتل وصفاً مميزاً في التراث السوسيولوجي فضلاً عن كونه ركيزة أساسية لدى منظري نظرية علم الاجتماع الكلاسيكي والمحدثين، فضلا عن المكانة المميزة التي يحتلها هذا المفهوم في سياق نظرية علم الاجتماع لدى المنظرين المعاصرين والذين ينطلقون من مفهوم التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات ودور المجتمع في تطوير النظرية البيولوجية من منظور التفاعلية الرمزية. [8]

2-5- **تعريف التفاعلية الرمزية** : " تعتبر التفاعلية الرمزية أقدم تقاليد التحليل السوسيولوجي قصير المدى ، و يعود إلى هربرت بلومر H.Blumer سنة 1937 في مقال تحت عنوان علم النفس الاجتماعي صك تعبير (التفاعلي الرمزي) ، وفي مقال لاحق سنة 1962بعنوان (المجتمع و التفاعل الرمزي) يؤكد بلومر بأن ميد أكثر من أي من الآخرين وضع أساس هذا الاتجاه ، رغم انه لم يطور ما ينطوي عليه من منهجية للدراسات الاجتماعية "[9]تنقسم التفاعلية إلى قسمين التفاعل و الرمز لذلك "تستعمل كلمة الرمزية للدلالة على الجوانب الأكثر

اختلافا في الحياة الاجتماعية، ومن المألوف اليوم استنكار (**السياسة الرمزية**) أو (**المجتمع المشهد**) أو (**الدولة المشهد**) ، و يقصد بذلك نشاط الاستبدال الذي يقدم ترضيات تعويضية في حالة عدم تحقق النتائج المرجوة أو الموعودة.[10]

و في كتاب التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism يعرف هربرت بلومر blumer التفاعل الرمزي بأنه خاصية مميزة، و فريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس، وما يجعل هذا التفاعل فريدا هو أن الناس يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم بدلا من الاستجابة المجردة لها، أن استجابتهم لا تصنع مباشرة وبدلا من ذلك تستند إلى المعنى الذي يلصقونه بأفعالهم.[11]

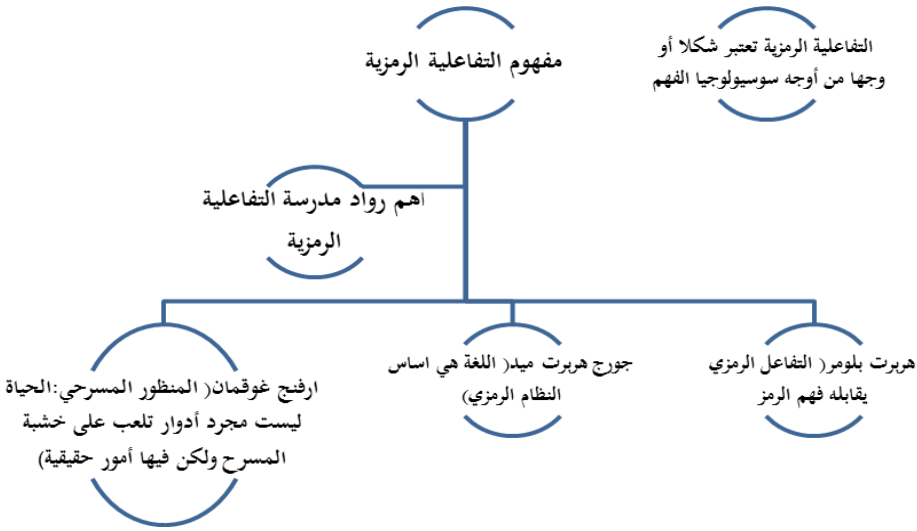

المصدر: من إعداد الباحثة استنادا إلى كتاب علي الحوات النظرية الاجتماعية مفاهيم أساسية

3- **البناءات الكبرى في نظرية التفاعلية الرمزية:** ترتكز نظرية التفاعلية الرمزية الى مجموعة وحدات تستخدم في التحليل و يتنم ربطها بمجموعة المتغيرات التي تعمل اي دراسة على استجلائها و تطبيقها على الظاهرة الاعلامية و الاجتماعية، و فيما يلي هذا المخطط التوضيحي الذي يمثل البناءات الكبرى التي

ترتكز عليها نظرية التفاعلية الرمزية.

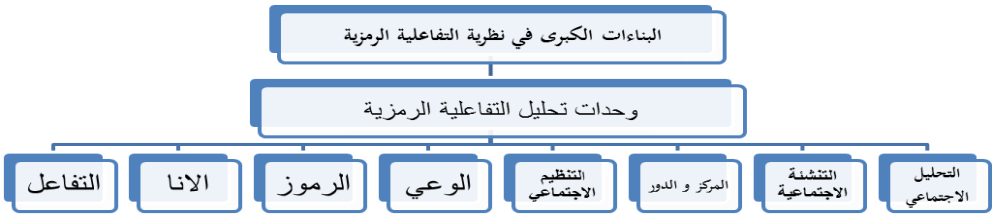

المصدر: من إعداد الباحثة عن كتاب علي الحوات : النظرية الاجتماعية مفاهيم أساسية

4- **مصادر التفاعلية الرمزية:** تتألف نظرية التفاعلية الرمزية من مجموعة مصادر و ذلك لأنه يمكن تطبيقها على اكثر من حقل بحثي سواء في الدراسات الاعلامية او الدراسات السوسيولوجية التي تعنى بالتفاعل الاجتماعي في الحياة اليومية، التي تتراكم فيه المعاني و الرموز لتشكل مجموعة من العوالم الحسية والملموسة تعتمد فيها على المخزون الاجتماعي الذي تمثله الرموز و الاشارات والمعاني و اللغة ن وهذا المخطط لشرح اهم مصادر التفاعلية الرمزية

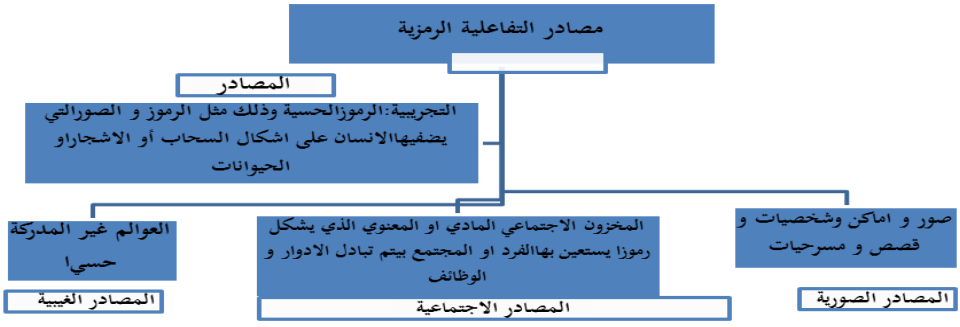

5- **المفاهيم الاساسية لاتجاه التفاعلية الرمزية**: ان لأي نظرية اعلامية أو السوسيولوجية مجموعة من المفاهيم التي اسست لها ابستمولوجيا و التي ارتبطت بها وبناءها على الصيغة التي ظهرت بها النظرية، منها وعي الباحث العلمي في بيئة تختلف فيها معاني الموضوعات المختلفة اضافة الى الرموز كما تصورها اللغة في تقديمها لذات الفاعلة و هذا المخطط يشرح المفاهيم الاساسية لاتجاه التفاعلية الرمزية.

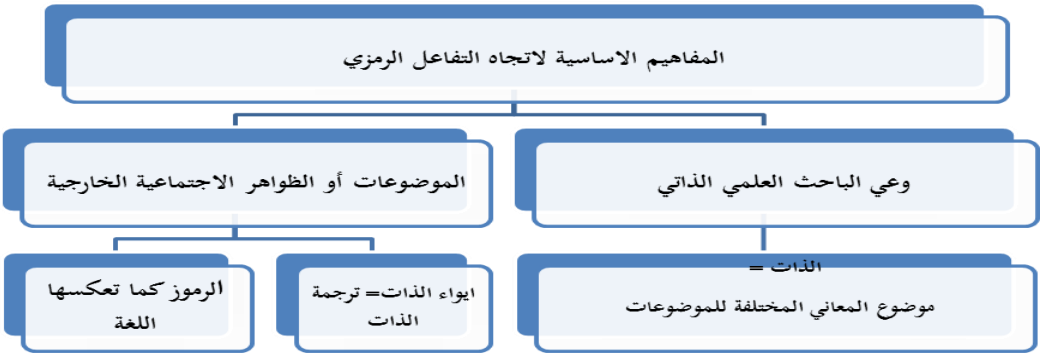

المصدر : من إعداد الباحثة عن كتاب على الحوات: النظرية الاجتماعية مفاهيم أساسية

6-فرضيات نظرية الحتمية القيمية: هي مجموعة الاجابات المؤقتة التي اعتمدها المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي في تأسيسه لهذه النظرية و التي سنتطرق لها تباعا.

المصدر : من إعداد الباحثة استنادا إلى كتاب "دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام "للكاتب- عبد الرحمن عزي -

6-1- قراءة في أسس و فرضيات الحتمية القيمية :من المعروف في أدبيات الإعلام و في إطار التنظير لمشكلة بحثية معينة أن لها خلفية نظرية تستتبعها مجموعة من الفرضيات التي تنبني عليها هذه الأخيرة، والتي يعتمد عليها في عملية التحقق الامبريقي للظاهرة محل الدراسة .

و كغيرها من النظريات إرتكزت نظرية الحتمية القيمية على مجموعة فرضيات، منها ما يتعلق بالمضمون الإعلامي، والذي تمثله الرسالة الإعلامية والذي تجسد في الفرضية الأولى وهي: الرسالة هي القيمة والفرضية الثانية وهي الأثر الإعلامي الذي يكون مرحلة اخيرة بعد التأثر و التأثير، والذي تجدر الإشارة إلى صعوبة قياسه وكذلك نظام القيم الذي استند فيه عبد الرحمن عزي وحصره في القيم الدينية والتي تبناها بناء على فكر ومؤلفات مالك بن نبي، أيضا ربطه للحواس بالقيم والتي هي أداة وسيطة في نقل المعلومات والرموز والإشارات من الوسيلة نحو المستقبل، عن طريق الملاحظة، والفرضية الاخيرة المتمثلة في الزمن الاجتماعي المعايش والزمن الرمزي الذي يُحدث المفارقة الكبرى بين ما نعيشه حقيقة وما نعتمد عليه لبناء صور ذهنية عن طريق وسائل الإعلام ، كل هذا سنتعرض له بالتفصيل تباعا:

6-1-1- الرسالة هي القيمة : اعتبر المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي القيمة محور الرسالة الاعلامية سواء كان سلبا أو ايجابا فكلما اقتربنا من القيم

كانت الرسالة مؤثرة و ايجابية وكلما ابتعدنا عنها كان العكس، وإذا كانت هذه هي نظرة الباحث لما يجب أن يكون في وسائل الإعلام العربية خاصة ،بعد أن اعتمد على القيم الدينية في طرحه لهذه النظرية ،مع مراعاة السياقات العربية ، الا انه اغفل أن جل الأنظمة الإعلامية كانت تركة موروثة عن الاستعمار ، فمثلا في الجزائر تم تأميم السمعي البصري بعد التوقيع على اتفاقيات ايفيان، وتبني النظام القديم لتسيير المؤسسات الإعلامية، وبالتالي بقي نظام التسيير تابع للقانون الفرنسي ثم مر بعدة مراحل سيطرت فيها السلطة على المؤسسات الإعلامية سواء في ظل الحزب الواحد أو في ظل التعددية بالإضافة إلى تعرض الإعلام لقوانين العرض و الطلب في إطار التسويق الاعلامي بناءا على ما يطلبه الجمهور أو في ظل الانتقال من سؤال ماذا تفعل وسائل الإعلام بالجمهور ؟ إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام ؟ و بالتالي تطرح القيمة بصفتها معطى إيجابي إشكالا في ما يريد أصحاب رؤوس الأموال تحقيقه من خلال الاستثمار في الإنتاج الإعلامي بصفة عامة، وهذا حال الأنظمة العربية كافة، و بالتالي فهي تحتكم إلى ثقافة إعلامية مفروضة عليها من الخارج.

6-1-2- الأثر الإعلامي و نظام القيم :ارتبط الأثر الإعلامي عند عبد الرحمن عزي بنظام القيم فكلما كانت الرسالة تحمل قيم ايجابية عملت عل المساهمة في التنشئة الاجتماعية الجيدة ونشر القيم السامية والايجابية وعملت على التحلي بالأخلاق الطيبة، و التربية الإعلامية السليمة خاصة عند النشئ، خاصة و أن عبد الرحمن عزي اعتمد التضاد الثنائي الذي جاء به كارل ماركس و هو الايجابي مقابل السلبي و معرفة كل منهما بالآخر، ولا نجزم بوجود استقلالية تامة في هذا الجانب، و بناء عليه فكما تعمل وسائل الإعلام على نشر القيم الايجابية كذلك تفعل مع القيم السلبية، و بالتالي بتوقف ذلك على الاستخدام الأمثل لجمهور المتلقين للوسيلة عن طريق التعرض للرسالة.

6-1-3- نحو ربط ثقافة الحواس بالقيم :"إن التحليل الذي قدمه عبد الرحمن عزي في قراءته الابستمولوجية في تكنولوجيا الاتصال يحيل المتمعن الوقوف أمام معرفته الكاملة بالموضوع أي بوصفها نظرية في علوم الإعلام

والاتصال مبنية على تكنولوجيا الحواس، و هي في الأصل معرفة إنسانية و لذلك يمكن فعلا فهم العالم من حولنا من خلال الحواس ، و يمكن معرفة تطور البشرية من خلال وظيفة الحواس في الإنسان أيضا "[12] و هو ما ينطبق أيضا مع ما جاء به مارشال ماكلوهان عندما قال بأن "**الحواس امتداد لوسائل الإعلام**" فالأذن امتداد للإذاعة المسموعة و البصر امتداد للصورة المرئية .....الخ، و في عصر تكنولوجيا الحواس أصبحت الوسيلة تنوب على المتلقي في جميع العمليات و بالتالي وجب ربط القيم الايجابية ربطا تاما في التعامل مع المضامين و الصور الإعلامية مع الإنسان وهذا ما لا يمكن المراهنة عليه عند تعرض الفرد لهذه المضامين ، و بالتالي يبقى ربط ثقافة الحواس على تعبير عزي بالقيم أمر نسبي قد يختلف من شخص إلى آخر ، خاصة في ظل الانفتاح الإعلامي، و تبني القولبة و التنميط في وسائل الاعلام من اجل الربح المادي وتحقيق الثروة ،و بالتزامن مع سيطرة أباطرة الإعلام على هذا المجال تتقاطع المعارف الفكرية والذهنية والتكنولوجية في نقاط التطور وتنفصل عنها في جزئية الأسبقية وبالتالي فعبد الرحمن عزي لا يتفق مع "تقديمات ماكلوهان على مستوى كل من عملية ربط التطور التاريخي بشكل الاتصال ودمج السمع والبصر كوحدة في مقابل النص المطبوع، فالتطور التاريخي في نظرنا يرتبط بالتحولات أو القطائع على مستوى البنى المعرفية أو المعاني، و ليس بالاكتشافات التقنية في مجال الاتصال ،وإن كانت هذه الأخيرة تسرع في عملية التحول ".[13]

6-1-4- الزمن الاجتماعي المعايش و الزمن الرمزي : مع تبني المجتمعات العربية لتكنولوجيا الإعلام، وانتقالها من استغلال الزمن الاجتماعي في العمل التقليدي إلى زمن تتحكم فيه وسائل الإعلام عرف ما يسمى بالزمن الرمزي الإعلامي، والذي بمقتضاه يتم حساب كل شيئ من خلال ما يدره من عائدات مالية و مع ظهور التلفاز وصولا إلى شبكات التواصل الاجتماعي اختزل الزمن الاجتماعي الذي كانت تميزه الحميمية والعلاقات الوطيدة إلى زمن رمزي تميزه برودة هذه العواطف، وتفكك الروابط الأسرية خاصة بظهور الهاتف النقال، ساهمت النزعة الاستهلاكية للتكنولوجيا في استهلاك واستغراق الإنسان العربي

للزمن الإعلامي الرمزي على حساب الزمن الاجتماعي حتى انتقل الانسان من مرحلة الانتاج الى مرحلة الاستهلاك و اصبح مع تبنيه وسائل الاعلام انسانا مشيئا مغتربا عن عالمه الذي نشأ فيه .

7- التفاعلية الرمزية عند جورج هربرت ميد و الحتمية القيمية حدود الانتقاء و نقاط الالتقاء : تشترك نظرية الحتمية القيمية و نظرية التفاعلية الرمزية في:

7-1- **النسق**: حيث تعتبر وسائل الإعلام احد أهم الأنساق داخل البناء الاجتماعي الذي يجمع الأفراد والجماعات حول الرموز التي يتفق عليها أفراد المجتمع الحقيقي أو الصورة الذهنية التي تسوقها هذه الأخيرة (إذاعة، تلفزيون، سينما) وكذلك وسائط الإعلام الجديد الذي يبقى متحررا نوعا ما من السياقات الاجتماعية مقارنة بالوسائل التقليدية، على اعتبار أن شبكة الانترنت أو المجتمع الشبكي هو السياق الكلي للمتواجدين على منصات التواصل الاجتماعي .

7-2- الرمز: يختلف الرمز عن القيمة في كل من النظريتين حيث ترتكز الرسالة في نظرية الحتمية القيمية على القيمة كمرتكز و أساس لتحليل و تفسير الرسائل الإعلامية بينما تعمل التفاعلية الرمزية على حضور الرمز و الاتفاق حول معانيه و مدلولاته ، من خلال الصور الذهنية التي تتبادر لذهن المتلقي بمجرد النظر إلى بعض الرموز و الإشارات في وسائل الإعلام و التي تحيل إلى معاني معينة.

7-3- " يعتقد ترنر Turnerو هو أيضا من ضمن رواد التفاعلية الرمزية ، بان علاقتنا بالأشياء المحيطة بنا تعتمد على تقييمنا لها عن طريق تحويلها إلى رموز و هذه الرموز قد تكون إيجابية أو سلبية بالنسبة لنا اعتمادا على خبراتنا و تجربتنا معها ، فإذا كانت إيجابية فإننا نكَون تفاعلا قويا و حيا لنا بحيث ننجذب معها وتنجذب لنا "[14]، و هذا ما أكدته نظرية الحتمية القيمية التي تقول انه كلما اقتربنا من القيمة كان اثر الرسالة الإعلامية فعالا و إيجابيا و كلما ابتعدنا من القيمة لا تحقق الرسالة الإعلامية الأثر المطلوب منها و كان الأثر سلبيا، اذ كلما كانت الرسالة حسب تصور المتلقي كلما ارتبط بها و كون عنها فكرة و عملت هي الاخرى على بناء افكار لديه و العكس صحيح.

4-7- المفاهيم: كما تشترك النظريتين في بعض المفاهيم و المتمثلة في " مفهوم الثقافة ، العولمة ،المخيال الإعلامي ،الخوف الإعلامي ،رأس المال الإعلامي الرمزي ،البنية القيمية للغة ، الواجب الأخلاقي ، النظام الأخلاقي مع نظرية التفاعلية الرمزية باعتبارها نظرية تشتغل داخل سياق مخصوص بذاته تتواجد فيه كل هذه المفاهيم لكن تتم دراستها من خلال مجموعة أبعاد فنجد مثلا ، مفهوم الثقافة و هي " ذلك الكل المركز الذي يشمل المعرفة و المعتقدات و الفن و الأخلاق ، والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع "[15]، متجسدة في وسائل الإعلام و عن طريقها وهذه الأخيرة وعاء لها والرمزية أحد طرق التعبير فيها، بالإضافة إلى المخيال الإعلامي والذي يعمل الرمز على تشكيله و بناءه عند المتلقي و بالتالي خلق نوع من التجانس بين أفراد المتلقين، واتفاقهم حول القيم المتبناة داخل المجتمع، أما عن الزمن الإعلامي والذي أصبح في عصر الميديا الجديدة يعبر عنه من خلال الاستغراق في المحتوى الإعلامي من خلال المعاني المشتركة التي تحيل إليها الرموز التي تعمل على بناء الصور الذهنية.

5-7- المكان الإعلامي: و الذي يتجسد في وسائل الإعلام يعتبر الرمز ركيزة أساسية في إنتاج المضامين الإعلامية عبر وسائل الإعلام سواء منها التقليدية أو الإعلام الجديد وينطبق ما سبق على مفهوم الرأسمال الإعلامي الرمزي ، كذلك البنية القيمية للغة باعتبار اللغة أحد مقومات التفاعلية الرمزية ، وأحد الأشكال التي يقوم عليها الاتفاق بين الأفراد من اجل التواصل والتفاعل بين الذوات ،"حيث يتم تأثير وسائل الإعلام على الفرد من خلال مراحل تبدأ بالإدراك للرسالة الإعلامية ذات المعنى اللغوي والذي تعارفت عليه أفراد المجتمع، فالفرد يدرك موقفا معينًا يأخذ مصطلحا من خلال الرموز الاجتماعية، و من خلال تقديم وسائل الإعلام لهذا المصطلح اللغوي في مواقف معينة، فإنها تؤثر على الفرد بإعطائه معاني جديدة للموقف الاتصالي ، و تضيف للمعاني القديمة عناصر جديدة و تستبدل المعاني القديمة بأخرى جديدة"[16].فيحدث تثبيت و اتفاق عام

بين أعضاء الجماعة حول مواقف معينة و ما يتوقع منها حيال توفرها في ظروف أخرى .

6-7- وسائل الاعلام: تعمل وسائل الإعلام على طرح الأفكار عن طريق الرموز والمعاني والدلالات عبر الرسائل الإعلامية ويتعرض لها الأفراد المتلقين على اعتبار أنها مصادر للمعلومات ويتدرجون معها حتى يصلوا إلى مرحلة تبني المواقف و اعتناق القيم، وبالتالي يحقق الرمز التوافق و التقارب بين القيمة و الشيء المشار إليه.

7-7- **الفاعل الاجتماعي** : تقوم نظرية التفاعلية الرمزية "على مجموعة من المسلمات حول الفاعل الاجتماعي و هي أن الفاعل يختار الوسائل لتحقيق تلك الأهداف في موقف يتكون من موضوعات مادية و اجتماعية – و الأخيرة تتضمن معايير اجتماعية و قيم ثقافية"[17] ، و من هنا جاء عبد الرحمن عزي ليؤكد أن الفاعل الاجتماعي هو أداة للقيمة وبالتالي كان الإنسان تجسيدا لها **ومصدر الانطباع و التقييم الذاتي و الاجتماعي**، اتخذ في هذه الجزئية من التفاعلية الرمزية قاعدة انطلق منها للتنظير للقيمة باعتبارها نتاج ما يجسده الإنسان عمليا على ارض الواقع و في وسائل الإعلام بما فيه العالم الافتراضي و بالتالي " يوجه الفاعلون أفعالهم نحو بعض لتحقيق الإشباع المتبادل ، و إذا ما نجحت تلك العملية فان أفعالهم تصبح ثابتة تتخذ أنماطا من أدوار المكانة ، أي تشكل بنية أدوار و يمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر من بعضهم (أي من حيث المعاني و الرموز)".[18]

8- **مساهمات فرضيات التفاعلية الرمزية في إثراء و إنتاج الحتمية القيمية** : لقد اعتمدت الحتمية

القيمية على تراث عدة نظريات غربية منها التفاعلية الرمزية وهي موضوعنا لهده المداخلة بناء على مجموعة فرضيات لها علاقة ببناء الأسس و المرتكزات للحتمية القيمية من خصائص القيمة التي هي أساس هذه النظرية مجموعة من العناصر منها "الوعي الذاتي" و "التفاعل" و "الأنا "التي تحيل إلى الذات ، و" المركز و الدور" الذي يتقمصه كل فرد من اجل فهم الآخر و ليس مجرد التفاعل معه لحظة

العملية الاتصالية في إطار السياق الاجتماعي، كذلك التراتبية أو بما يعرف بسلم القيم سوف نتطرق لها بالتفصيل .

*تبرز أهمية التفاعلية الرمزية أيضا في دراسة الاتصال من خلال اهتمامها بفكرة تبادل التفاعل الاجتماعي واستخدام المعاني المشتركة كأساس للتفسير الفردي للعالم الموضوعي، فقد اقتنع "تشارلز كولي بان الناس لا
يستطيع بعضهم الانتساب إلى بعض على أساس صفاتهم الموضوعية كما هي موجودة في الواقع ".[19]

*و "بالنسبة للتنشئة الاجتماعية "فتعتبر احد البناءات الكبرى في التفاعلية الرمزية و تدخل في علاقة تبادلية مع القيمة ، حيث تتشكل القيم بناء على الإرسال و الاستقبال من خلال الرسائل التي تسفر عن تغذية راجعة أو رجع الصدى Feed back الذي بتم من خلاله تعديل السلوك أو إعادة بناء المعنى أو تغييره ليتم الاتفاق في النهاية على قيم معينة تصبح مجموعة من القواعد ليس من السهل اختراقها "حيث تعمل القيم على ضمان استمرارية التفاعل بين أفراد المجتمع وجماعاته لأنها توفر قدرا من التوقعات التي يتفاهمون على أساسها ويخضعون تصرفاتهم لها، ويعتزون بالحفاظ عليها والدفاع عنها ونبذ المشوه لأنماطها فهي تشكل إطار مرجعيا لسلوك الفرد في المواقف المختلفة ".[20]

*تشتغل التفاعلية الرمزية على" **الذات الفاعلة**" داخل السياق الاجتماعي إذ تعتبر الإنسان مجموعة ذوات تتفاعل مع بعضها البعض لتنتج مواقف معينة من خلال العملية الاتصالية التي تكون بين مرسل و مستقبل "و يرى كولي أنه يجب أن تكون لدينا فكرة شخصية تفصيلية أيضا عن أنفسنا ،و هو ما أطلق غليه مرآة الذات حيث توجد مرآة اجتماعية ، نرى فيها أن الناس يقبلوننا أو يرفضوننا "[21]. و بالنظر إلى ما جاء به عزي من أن وسائل الإعلام تعتبر مرآة للفرد و المجتمع حيث تصبح احد الوسائل التي تمكنه من فهم ذاته و الآخرين من حوله و بالتالي " تجتث الفرد من عالمه المحدود، و تجعله يفلت جزئيا من تلك المسلمات التي تمثل جل ما يعرفه ويدركه عن ذاته وعن مجتمعه، و بتعبير آخر، فان وسائل الاتصال تنقل الفرد من المطلق إلى النسبي، و تكمن أهمية النظرة إلى الذات والمجتمع خارجيا في

أن الفرد يستطيع الاطلاع على وجهات النظر المتعددة ويدرك ما يتميز به من خصوصيات، و يميل إلى تقبل الآخرين على ما هم عليه من تمايز ، فالفرد يعرف بوعي ذاته ومجتمعه من الآخر أو الآخرون"[22].،و هنا جاء التوافق بين ما جاء في التفاعلية الرمزية و مدى توظيفها لمرتكزاتها في بناء الحتمية القيمية غير انه يعاب عليها "و بشكل خاص كما يتضح من توظيف بلومر لمقولة مؤشرات الذات Self-Indicators عند ميد ، تقترف الخطأ ذاته الذي يتهم به الفكر السوسيولوجي – الذي يركز على البناءات و الأنساق و القوى الاجتماعية و المؤسسات ، و يبرز هذا من خلال إنكارها للقوى التي تؤثر في الفرد و تقع خارجه، و تمثل حقائق داخل المجتمع ، إن الرمزيون – كما يؤكد بلومر – يرفضون هذه الطريقة في فهم المجتمع لأنها تتعامل مع الأفراد و كأنهم وسائط تعمل هذه البناءات من خلالها و تتجاهل أن الأفراد هم الذين يقومون ببناء مؤشرات الذات ".[23]

الخـاتمـة: ساهمت نظرية التفاعلية الرمزية في بناء نظرية الحتمية القيمية، بناء على تأثر الباحث برواد النظريات السوسيولوجية من خلال أبحاث متخصصين في علم الاجتماع، وتركيزها على اللغة والمعاني و الرموز التي تم توظيفها في الدراسات الاعلامية، و قد أثبتت النظرية نجاعتها في الجانب الامبريقي أكثر من الجانب التنظيري لذلك كانت من النظريات العربية المهمة التي تم الاعتماد عليها من طرف عدة اساتذة منهم بوعلي نصير و السعيد بومعيزة، و تعتبر نقاط التقاء الحتمية القيمية مع عدة نظريات على غرار التفاعلية الرمزية نقاط قوة بالنسبة لها وهي من النظريات التي تعمل على تجسير الهوة بين النظريات الكلاسيكية الغربي ومحاولة عملها على تطبيقها في السياق العربي، اذ لا يعني اعتمادها على عدة نظريات عربية و غربية انها تخلو من اي خصوصية و قيمة بل على العكس فهي تحتاج الى مزيد من التطوير لتسابق التطورات الحاصلة على مستوى تخصص الاعلام و الاتصال و بالتالي في نظرية ممتدة قابلة للتطور مع مراعاتها للسياق العربي دائما.

الهوامش :

[1]- عبد الرحمن عزي: دعوة الى فهم نظرية الحتمية القيمية في الاعلام، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1،2011، ص9.

[2]- بن كعبة محمد، مسعودي احمد: سوسيولوجيا القيم: قراءة في علاقة القيم بالفعل الاجتماعي، مجلة الرواق،مجلد4 عدد01 جوان 2018،ص183.

[3]- عبد الرحمن عزي، مرجع سابق، ص11.

[4]- عبد اللطيف عقل، علم النفس الاجتماعي، دار البيرق، عمان، ط2، 1988، ص93.

[5]- احمد الشناوي و اخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل، الاردن ،دار الصفاء للنشر و التوزيع، عمان، ،2001،ص65.

[6]- جابر نصر الدين ، لوكيا الهاشمي : مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي،دار الهدى للطباعة و النشر ، عين مليلة ، الجزائر ،2006.

[7]- بداني فؤاد، حتمية ماكلوهان لفهم قيمية عزي عبد الرحمن، مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية ،جامعة الوادي ،العدد الرابع، جانفي 2014،ص122

[8]-http://qu.edu.iq/repository/wp-content/uploads/2018/05/2212:30

[9]- عبد الكريم الحوراني: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان،ط1، 2008،ص28.

[10]- علي الحوات : النظرية الاجتماعية مفاهيم أساسية، شركة الجا للطباعة و النشر العلمي المحدودة ، مالطا ، 1998، ص178.

[11]- عبد الكريم الحوراني، مرجع سابق،ص28.

[12]- ابتسام المباركي : نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ،قراءة تبسيطية لأهم افتراضاتها ، مجلة الدراسات الإعلامية ،المركز الديمقراطي العربي ، ألمانيا ، العدد الثاني ،ابريل 2018،ص150.

[13]- عبد الرحمن عزي: دراسات في نظرية الاتصال –نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط2، 2009،ص 36.

[14]- حميد جاعد محسن الدليمي ، علم اجتماع الإعلام ، رؤية سوسيولوجية مستقبلية، دار الشروق للنشر و التوزيع ،مصر،ط1،2000،ص33.

[15]- دينيس كوش :مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير سعيداني ، مراجعة الطاهر لبيب ،مركز دراسات الوحدة العربية ،لبنان،ط1 ،2007،ص31.

[16]- منال أبو الحسن، أساسيات علم الاجتماع الإعلامي – النظريات و الوظائف و التأثيرات، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006، ص126.

[17]- البار الطيب :البرامج الحوارية السياسية في الفضائيات العربية و تشكيل الفضاء العمومي الجزائري دراسة تحليلية – ميدانية- رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علوم الإعلام و الاتصال عن جامعة باجي مختار عنابة –الجزائر ،2017/2016 ، ص69.

[18]- ايان كريب : النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابر ماس، تر: محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، 1999، ص118.

[19]- طه نجم عبد العاطي : الإعلام و المجتمع، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع ،الإسكندرية،ط1، 2013، ص59.

[20]- بن كعبة محمد، مسعودي أحمد: مرجع سابق،ص.183

[21]- طه نجم عبد العاطي: مرجع سابق، ص59.

[22]- عبد الرحمن عزي: مرجع سابق، ص114.

[23]- عبد الكريم الحوراني : مرجع سابق، ص ص 28-29.